العرب
الثلاثاء 2021/04/27
السنة 43 العدد 12043

ماذا تبقى من الشعر في المسرح؟

خزعل الماجدي يحاول استعادة شعرية المسرح في عصر ما بعد الحداثة

ارتبط المسرح بالشعر منذ بداياته في الحضارات الشرقية والغربية، وكان الشعراء يتحكمون في معظم عناصره الأدبية والفنية، يكتبون نصوصه، ويتولون عملية إعدادها وتفسيرها وتهيئة مستلزماتها لتقديمها مجسدة على المسرح، لكن مع ظهور الحداثة تراجع الشعر في المسرح إلى أن اختفى تقريبا، وهو ما يرفضه الكثير من الشعراء والمسرحيين محاولين إحياء العلاقة بين الشعر والمسرح.

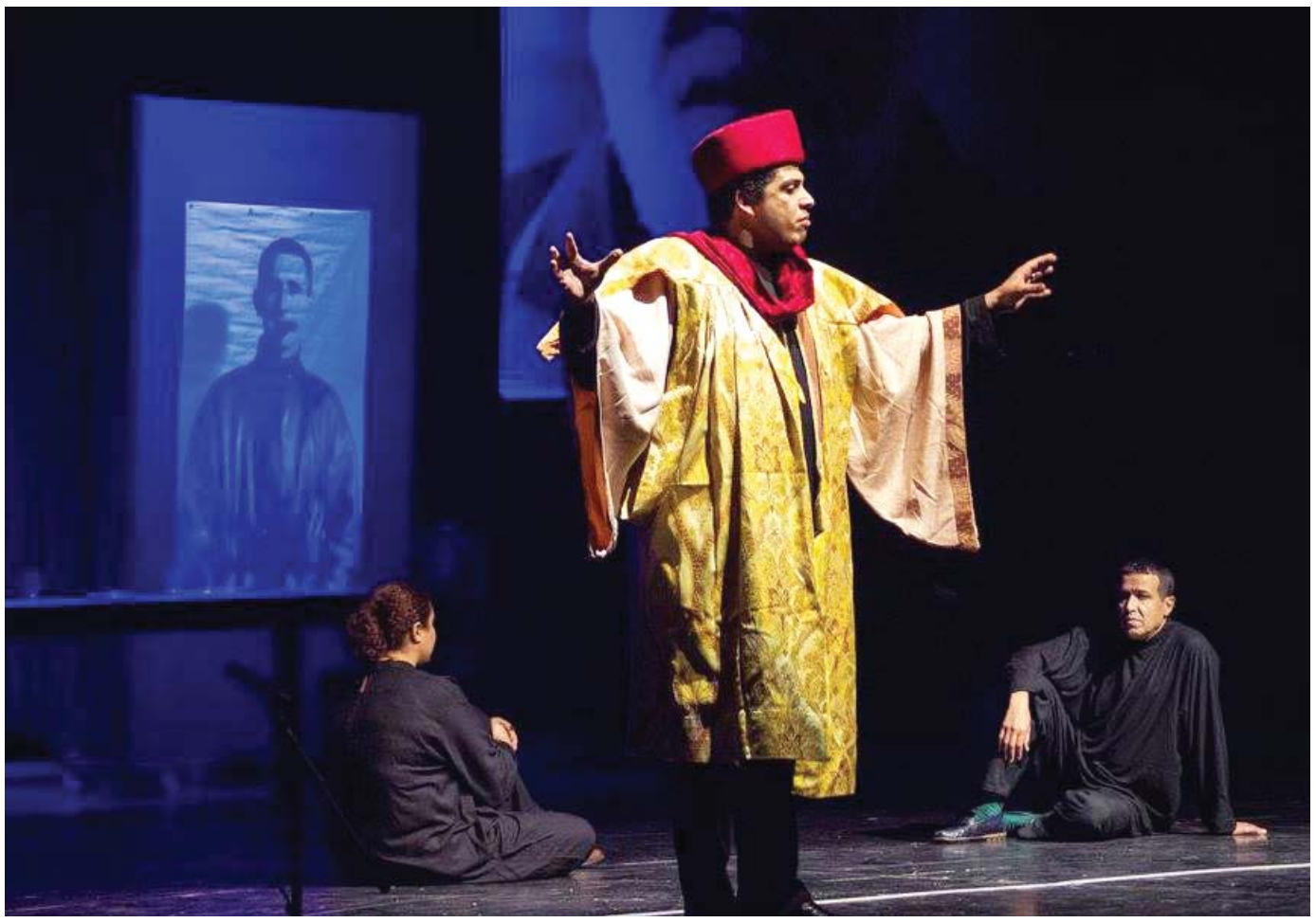

ما عاد للشعر من مكان على الخشبة

عواد علي
كاتب عراقي

العلاقة بين المسرح والشعر ليست فقط كتابية، ففي العصر الإغريقي كان الشعراء يرشدون الممثلين إلى أسلوب أدائهم ويرسمون حركة الجوقة وإيقاعها، ويعلّمون الراقصين الرقصات الانفرادية والجماعية.

وعُرف عن أسخيلوس أنه كان من أبرع من جسدوا نصوصهم على المسرح، استنادا إلى ملاحظاته الدقيقة الواردة في نصوصه، والتي هي أقرب ما تكون إلى ملاحظات المخرج والمؤلف الموسيقي معا. لذلك جاء أول كتاب تنظيري لفن الدراما للفيلسوف اليوناني أرسطو بعنوان "الشعرية" أو "فن الشعر"، كما تُرجم إلى العربية.

الشعراء مخرجون

يقول الشاعر والكاتب المسرحي الفرنسي جان كوكتو إن المسرح والشعر حصانان من دم جنيّة... كان الشعر وكان المسرح توأم التحول الذي أنجز ابتعاده العبقري عن الأنماط الأولى، والبحث عن تسمية للأشياء ومن ثم اكتشاف الذات. وعبر الطقس ارتجلت الآلهة والمخاوف والشهوات، واستعارت عبورا من ليل الكهف إلى فضاء له قدرة التجسّد، واهتدت إلى الشعر لتبقى، أو اهتدى إليها الشعر لينقلها إلى فضاء يجعلها حاضرة فكان المسرح.

إن لحظة التقاء الشعر مع المسرح لحظة خاصة يتخلى فيها كل منهما عن بعض سماته ليتجاوزا حدودهما الموروثة في التعريف، فيتخلى النص الدرامي عن كثافته وانشغاله بالخارج، متيحا للأوهام والتخيلات مغادرة ظلامها إلى نهار النصّ الحافل بالرعب والحياة، مستعيرا أوهامها لها قوّة التجسيد، وواقعا جديدا مليئا بالشراسة والمفاجآت المستعارة من الشعر.

ويمكن الاستنتاج من الملاحظات الإخراجية التي تتضمنها بعض نصوص شكسبير، أنه كان يقوم بدور المخرج في فرقته، فهو الذي كان ينظم العرض، ويقود الممثلين ويوجههم لتجسيد أدوارهم. ومن أبرز تلك الملاحظات ما يرد في حوار لهاملت يوجه فيه فرقة الممثلين الجوالة، التي يستعين بها لتقديم أفكاره في قصر عمه وزوج أمه الملك كلوديوس، وتوضيح شكوكه في مقتل أبيه على يده.

وكان موليير يلعب في فرنسا الدور نفسه الذي لعبه شكسبير في إنجلترا، من حيث التفكير والتنظيم وقيادة الفريق المسرحي. ويبدو ذلك جليا في أحد نصوصه المسرحية، التي يوجه فيها إحدى الممثلات، ويحلل لها الدور، ويشرح بعض الجوانب التقنية في التمثيل.

لكن مع ثورة الحداثة، وتنامي الواقعية في الأدب الغربي تحرر المسرح من الشعر، وصار الأسلوب النثري هو الأسلوب الطاغي على الدرامة المسرحية.

وقد دافع هنريك إبسن عن التحول إلى النثر بأنه نابع من الواقع. وذهب كتّاب آخرون إلى أن أسلوب الشعر في المسرح أصبح يقف عاجزا عن الاستجابة لمشكلات الواقع الجديد الذي أنتجته البيئة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للرأسمالية. إلا أن ذلك لم يحل دون توجه بعض الشعراء إلى كتابة النصوص المسرحية شعرا حتى في القرن العشرين، مثل إليوت، ييتس، سين أوكسي، لوركا وبول كلوديل.

مسرح شعري عربي

المسرح العربي أيضا بدأ مسرحا شعريا، فمسرحية مارون النقاش الأولى "البخيل"، التي عرضها في بيته ببيروت عام 1847، كانت شعرية موزونة ومغناة من أولها إلى آخرها، والنثر فيها محدود جدا، أي أنها ذات طابع أوبرالي استعار لها ألحانا معروفة، ولا علاقة لها بمسرحية "البخيل" لموليير إلا في الاسم.

ثم قل دور الشعر في مسرحيتيه التاليتين "أبوالحسن المغفل" و"الحسود السليط"، وغلب عليهما النثر المسجوع. ولم يغب الشعر عن مسرحيات أبي خليل القباني، التي استمد معظمها من التراث الشعبي، بل كان جزءا أساسيا فيها يُؤدى غناء.

ويسجل بعض دارسي المسرح أن أول مسرحية عربية شعرية هي "المروءة والوفاء" للشاعر اللبناني خليل اليازجي يعود تاريخها إلى عام 1876، وذلك لكونها عملا شعريا متكاملا استغنى في حواراتها عن النثر استغناء تاما، وحملت بذور العناصر الأولى للشكل المسرحي الشعبي العربي.

وقدم اليازجي بعدها بسنة مسرحية شعرية ثانية عنوانها "الحسناء وكيد النساء". وكتب بعده شعراء آخرون مسرحيات شعرية تاريخية واجتماعية لكتّاب لبنانيين ومصريين وعراقيين وسوريين وفلسطينيين، منهم نقولا فياض، حنا حبش، الخوري بطرس المكرزل "أستير"، قيصر المعلوف، عبدالله البستاني، أمين ظاهر خيرالله، يوحنا حداد، يوحنا البشعلاني، حنا طنوس، رشيد عطية، عبدالحميد الراضي وغيرهم.

أما أحمد شوقي فهو المؤسس الحقيقي للمسرح الشعري العربي، وذلك بمسرحياته "علي بك الكبير"، "مصرع كليوباترا"، "مجنون ليلى"، "قمبيز"، "عنترة"، "البخيلة" و"الست هدى". وتبعه شعراء من مصر والجزائر والعراق مثل عزيز أباظة، أحمد زكي أبوشادي، علي أحمد باكثير، عبدالرحمن الشرقاوي، صلاح عبدالصبور، عدنان مردم بك، محمد العيد آل خليفة، محمد البشير الإبراهيم، خالد الشواف وغيرهم.

> مع ثورة الحداثة وتنامي الواقعية في الأدب الغربي، تحرر المسرح من الشعر وصار الأسلوب النثري هو الطاغي

وإذا كان عدد من الشعراء العرب قد كتبوا المسرحية الشعرية في النصف الثاني من القرن العشرين، مثل معين بسيسو، خالد محيي الدين البرادعي، معد الجبوري، خزعل الماجدي، مهدي بندق، فاروق جويدة، مصطفى عبدالغني، فإن المسرح الشعري العربي منذ بدء الألفية الثالثة أصبح ضئينا في العطاء أو نادرا أو يكاد يكون اختفى. وهذا ما دفع الشاعر والكاتب المسرحي العراقي خزعل الماجدي إلى محاولة إعادة الاعتبار له وللمسرح معا وفق رؤية جديدة، وفهم مغاير لحضور الشعر في المسرح ليس في النص المكتوب فقط، بل في جميع عناصر الفن المسرحي (الممثل، العرض، الإخراج، السينوغرافيا والفونوغرافيا)، انطلاقا من قناعته بأن الشعر في المسرح غرق في شكليات النظم الشعري من قافية وبلاغة وأوزان واستعارات وغيرها، وترك روح الشعر التي كان يجب أن تحفّز المسرح كله.

وقد جاءت هذه المحاولة في بيان أطلق عليه الماجدي "بيان المسرح المفتوح"، مع نماذج نصوص مسرحية خاصة به، يهدف إلى إقامة علاقة وثيقة بين الشعر والمسرح، إذ يعدّ اللقاء بينهما اليوم، في رأيه، ضروريا ومهما يقوم على ندية متبادلة وخصوبة، وعلى شوق عميق من أجل أن يزدادا غنى وثروة، وعلى عمق خصيب يكون فيه الشعر مثل الروح الكهربية التي تحفّز وتنشّط المسرح، وتبث روحا جديدة فيه، مثلما تكون شحنة المسرح عاملا على تخليص الشعر من سكونه وأحاديته وركون أدواته.

يقترح الماجدي في بيانه شعرية مسرحية جديدة تتخطى مثالب التجارب التي عرفناها، وتحاول أن تقدم للمسرحيين والشعراء، بشكل خاص، تصورا جديدا للمسرح الشعري الذي يجب أن يكون عليه الشعر الحديث في المسرح الحديث، وفي مرحلة ما بعد الحداثة التي نعيشها اليوم.

وإجمالا يرى أن شعرية المسرح ليس في النص الشعري المسرحي، بل في أكثر من اتجاه، وهي من حيث الطبقات ستكون في المستوى الصوتي عبر فونوغرافيا شعرية مدروسة، وفي المستوى الدلالي عبر سينوغرافيا شعرية مدروسة توفر المعنى العميق للعمل. وأن اتحاد وتخاصب هذه المستويات الثلاثة هو الذي يقدم لنا ذلك الهارموني الوجودي العميق في الشعري والدرامي والحياتي، والذي سيشيع جوا إبداعيا عميقا ينقل المتلقي إلى حالة جديدة من الجمال والوعي والثقافة.

ويخلص الماجدي إلى أن ولادة المسرح الشعري الحديث أصبحت ضرورة أساسية بالمعنى العميق لكلمة شعري في عصرنا المابعدي، فهذا المسرح هو المسرح الحقيقي الذي لا يمكن أن يُصنف كفرع أو تنويع صغير ضمن الأنواع المسرحية، بل هو المسرح ابتداء، لأنه يقف بالضد من كلّ السطحية والعادية التي غمرت المسرح وأغرقته بالأخطاء.

ثلاث جوائز مسرحية عربية تؤسس لمسرح مشتبك مع واقعه

الشارقة – في إطار البرنامج الثقافي والفني الذي وضعته الهيئة العربية للمسرح، وتحفيزا للكتّاب المسرحيين العرب أطلقت الهيئة العربية للمسرح ثلاث جوائز في تأليف النص المسرحي الموجه للطفل، والنص المسرحي الموجه للكبار، وفي البحث العلمي المسرحي، حيث فتحت باب المشاركة أمام المسرحيين العرب.

ويأتي تنظيم النسخة الرابعة عشرة من مسابقة النص المسرحي الموجه للطفل اهتماما بهذا النمط المسرحي الهام، وقد خصصت دورة هذا العام للنصوص التي كُتِبَتْ ضمن ثيمة "نصوص تشتبك مع التحولات الراهنة ثقافيا وفنيا واجتماعيا"، نصوص تتفاعل مع الحاضر خاصة الاجتماعي والثقافي والفني، وتفتح أفق المستقبل، إضافة إلى ضرورة أن تساهم في بناء شخصية الطفل من خلال نماذج درامية إيجابية لشخصية الطفل في النصوص المؤلفة، موجهة للفئة العمرية من 6 إلى 18 سنة.

وتشترط الهيئة على المترشحين، الذين يجب أن يكونوا قد تجاوزوا سن الـ18 عاما، أن يكون النص المرشح للمسابقة مبنيا على الثيمة المحددة (نصوص تشتبك مع التحولات الراهنة ثقافيا وفنيا واجتماعيا)، وأن يكون النص جديدا ومكتوبا باللغة العربية الفصحى، إضافة إلى أنه لم يسبق فوزه في مسابقة أخرى، ولم يسبق أن شارك في المسابقة نفسها ولم يسبق نشره بأي وسيلة أو تقديمه في عرض مسرحي.

وعلاوة على تحديد كاتب النص للفئة العمرية المستهدفة في عمله، تشترط الهيئة ألا يكون النص مونودراما.

وفي إطار البرنامج الثقافي والفني الذي وضعته الهيئة العربية للمسرح، وتحفيزا للكتّاب المسرحيين العرب، تنظم الهيئة العربية للمسرح النسخة الرابعة عشرة من مسابقة تأليف النص المسرحي الموجه للكبار (فوق سن 18) للعام 2021 والتي خصصت لنصوص تندرج ضمن الثيمة نفسها المطروحة في النصوص الموجهة للصغار (نصوص تشتبك مع التحولات الراهنة ثقافيا وفنيا واجتماعيا)، حيث يتعين أن تحفر هذه النصوص في الحاضر والمُعَاش، مؤكدة على الدور الإيجابي للإنسان في إحداث التقدم والتغيير. ويخضع المترشحون لهذه الجائزة إلى نفس اشتراطات جائزة التأليف الموجه للصغار.

وتنظم الهيئة كذلك النسخة السادسة لسنة 2021 من المسابقة العربية للبحث العلمي المسرحي، والتي تخصصها للباحثين الشباب حتى سن 40 سنة.

وتأتي هذه الجائزة إدراكا من الهيئة العربية للمسرح لأهمية العمل على توفير مناخات الدراسات والبحث العلمي في سبيل تنمية المسرح، وصولا إلى مقاربة الشعار الرئيس الذي قامت عليه الهيئة "نحو مسرح عربي جديد ومتجدد" و"المسرح مشغل الأسئلة ومعمل التجديد"، فإن الأمانة العامة قد وضعت هدفا من أهداف عملها وخططه، الاهتمام بالبحث العلمي ودوره في تنمية المسرح، وذلك بتنظيم مسابقة عربية للبحث العلمي المسرحي انطلقت عام 2016.

المسرح العربي يحتاج إلى الخروج من الاستنساخ

وللمزيد من تفعيل التنمية فقد خصت الشباب المسرحي بحصر المشاركة فيها للباحثين حتى سن الأربعين، حيث سيكون التنافس في تقديم الجديد والرصين من هذه الأبحاث أساسا لدراسات تنموية قادمة.

من هنا تطلق الهيئة العربية للمسرح النسخة السادسة من المسابقة العربية للبحث العلمي المسرحي في العام 2021، وهي تنظر إلى النسخ الخمس السابقة بعين التقويم والتدقيق من أجل الوصول إلى مستويات بحثية رصينة ومجددة.

وتنطلق الجائزة في دورتها الجديدة من أسئلة سطرها الأمين العام للهيئة إسماعيل عبدالله في رسالة اليوم العربي للمسرح 2021 حيث قال "علينا أن نشاغب المستتب من المعارف، أن نتوقف عن استهلاك ذات النظريات، أن نساهم في مساءلة العلوم، أن ننقد نقدنا، أن نضع منهاجا جديدا لأكاديمياتنا؟ هل توقفنا عن استنساخ النظريات والتطبيقات والأشكال والمضامين؟ هل صرنا شركاء في تفكيكها وإعادة إنتاجها؟".

وتفتح الهيئة الباب أمام الباحثين العرب في هذه النسخة من المسابقة للاشتباك مع هذه الأسئلة بطرح هذا السؤال "أين نجد مسالك البحث النقدي في الأنثروبولوجيا المسرحية خاصتنا، وكيف نعرف الوزن الحقيقي للدور الحضاري لثقافتنا المسرحية دون أن نعيد استنساخ دفوعات لم تتمكن من إنصاف هذا الدور، هل نساهم في كتابة جديدة حول ذلك؟".

> الهيئة العربية للمسرح تنظم جائزتين في التأليف المسرحي للصغار والكبار وجائزة للبحوث العلمية تراعي التحولات الراهنة

وتضع العنوان الناظم للمسابقة "نحو كتابة نقدية جديدة لعلاقة الرقعة الجغرافية الممتدة من المحيط إلى الخليج بالمسرح".

وسيتم فتح باب التقديم وقبول الترشحات في الجوائز الثلاث اعتبارا من مطلع شهر مايو 2021 إلى غاية نهاية شهر سبتمبر 2021.

وتشكل الهيئة لجنة تحكيم وتكون قراراتها نهائية، حيث تعلن نتائج المسابقة في اليوم العربي للمسرح الموافق للعاشر من يناير 2022.